Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (2) August (2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

الخِطابُ العلوي واللِّسانياتُ النّفسيةُ التأسيسُ والإجراء

م. د . صادق علي خليل الزبيدي
تدريسي في جامعة ديالى كلية التربية المقداد

المقدمة :

إنَّ الخطاب العلوي خطابٌ تتجسد فيه عبقرية لغوية , وتفردٌ كلامي , واسلوبٌ بلاغيٌ يكتنز القيمَ العليا , ويتعالى في سماء المتكلمين والبلغاء والفصحاء , ليكون قبلةً لكل من يتذوق جمال العربية , ولكل من يريد أن يغترف من مضامين هذا النص[١] العلوي المتقن ولقد تحدَّث أميرُ المؤمنينَ عليه السلام في علومٍ مختلفة , وذكر في خطابه إشارات كلامية ترشد الى معارف متعددة , فهو معدن العلم , وخازن أسرار النبوة , وإن هذه الإشارات الكلامية أصبحت فيما بعد نظريات وعلوم واتجاهات , سواءٌ أكان اصحابها قد اطلعوا على هذه الإشارات الصريحة والضمنية أم لم يطلعوا, ومن بين هذه العلوم (علم اللسانيات النفسية) الذي أصبح من العلوم المعروفة والمشهورة في مجال اللغويات أو علم اللغة الحديث , الذي يتناول اللغة كسلوك كلامي نصل من خلاله الى شخصية منشئ الكلام , وما يحمل من معتقدات وقيم ومشاعر وغيرها, وقد تكلم الإمام باشارات متعددة في خطبه ورسائله ووصاياه تحمل جوهر هذا العلم , وتُرشِدُ إليه , وتنبّهُ إلى قواعده أو آلياته الكلامية من غير تفصيل لتلك الإشارات ؛ فهو كلامُ يوجه لمعانٍ كُلية , ومقاصدَ عامة غالباًوقد تناولت في بحثي التأسيس لعلم اللسانيات النفسية في كلامِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام , وكيف ذكر الإمام ما يتعلق بهذا العلم في بحثٍ عنوانهُ : (الخطاب العلوي واللسانيات النفسية التأسيس والإجراء) . وقد قسمته على مقدمة ومبحثين وخاتمة , وكان عنوان المبحث الأول بعنوان : (مفهوم اللسانيات النفسية) , والثاني بعنوان : (التأسيس للسانيات النفسية في الخطاب العلوي والإجراء)وقد اخترت هذا البحث لأهميته ولعدم تسليط الضوء عليه من قبل الباحثين أو الدارسين , وقد توصل البحث الى جملة من النتائج منها :

- إن كلامَ أمير المؤمنين عليه السلام ذكر جوهر هذا العلم ومضمونه وأهميته .
- هناك شواهد كلامية متعددة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام تناولت هذا المفهوم وأسست له في عبارات صريحة , وخطابٍ مباشر وغير مباشر لقد تضمن الخطاب العلوي في جانبه العملي أو الإجرائي جوانب مختلفة من علم اللسانيات , وآليات العلم واسسه وأجراءاته . ونتائج أخرى.

المبحث الأول : مفهوم اللسانيات النفسية :

اللسانُ وسيلة يستعملها الانسان لتؤدي وظائف التبليغ والاتصال والإخبار , وإن التبليغ والتواصل هو تخاطب وتبادل معلومات بين أفراد في جماعة بكيفيات مختلفة . (٢) , فاللسان وسيلة هذا التخاطب , وأداة النطق في تبادل المعلومات واللسانيات علمٌ موضوعُه اللغة [٣] وهي تدرس اللغة دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية فهي طريقة منهجية تنطلق من أسس موضوعية [٤] لذا تنطلق اللسانيات النفسية من أسس علمية في دراسة اللغة من ذاتها , فهي منهج وطريق علمي يغور في أعماق اللغة كنظام , ويبحث عن المضامين فيها بوصفها كلام يحمل في طياته إشارات نفسية متعددة وإنَّ الانسانَ يحلِل من خلال استعماله للغته الواقع الذي يعيش فيه, وان المتكلم عند التلبيغ والتواصل يريد أن يبلغ أغراضاً ومشاعرَ وأحاسيسَ وتصوراتٍ للآخرَ , وتختلف هذه الأغراض وهذه المشاعر باختلاف المفاهيم والمحسوسات , وهي تعكس تصورات الانسان لهذه المفاهيم والمحسوسات التي تحيط به , وهو عندما ينقل هذه التصورات والاغراض والمشاعر يستخدم نظاما لغوياً معيناً , فإن كلماته تعبر عن الواقع الذي يعيش فيه . (٥) ومن يدرس الكلام مستعيناً بالدرس اللساني النفسي سيقف على هذه اللغة المستعملة وسيتعرف على هذه التصورات والمشاعر التي يحملها صاحب النص أو الخطاب واللسانيات النفسيةُ علمٌ يبحثُ عن المعاني النفسيةِ , والمواقفِ الشعوريةِ , والاشاراتِ العاطفيةِ , وما يبثُهُ وجدانُ المتكلمِ من أصواتٍ وألفاظٍ وتراكيبَ في أي كلامٍ أو سلوكٍ لغويٍ يتباينُ شدةً وضعفاً بين الأفرادِ . وهي كاشفٌ لغويٌ , ومحللٌ كلاميٌ نصلُ من خلالِها الى شخصيةِ المتكلمِ , وطريقةِ تفكيرِهِ , ومواقفِهِ النفسيةِ , وما يحملُ من قيمٍ ومعتقداتٍ, ورؤى معرفيةٍ عن الحياةِ والمجتمعِ والأشخاصِ والحالاتِ والظواهرِ وغيرها , وموضوعُ الدرس اللساني النفسي الخطابُ بما يحملُ من أبعادٍ نفسيةٍ وشعوريةٍ وعاطفيةٍ .

[٦] وهذا البحث اللغوي عن المعاني النفسية يبدأ من اللغة نفسها بدراستها دراسة علمية تتناول بنيتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية ودراسة ذلك النظام الذي أوجدها محملة بمعانٍ مختلفة , ودلالات متنوعة , ومضامين متعددة , أنبأ عنها اللسان واللسانيات النفسية " ملامحُ وإشاراتٌ تنعكسُ على النفسِ الانسانيةِ فتحدثُ فيها استجابةً معينةً , سواءٌ أكانت لفظيةً أم حركيةً , إراديةً أم غير إراديةٍ , ويدخلُ فيها أفكارُ الانسانِ ومشاعرُهُ , وأحاسيسُهُ , وميولُهُ , ورغباتُهُ , وذكرياتُهُ , وانفعالاتُهُ , على نحوِ (سلوكٍ حركي , وسلوكٍ انفعالي , ووجدانياتٍ , وعملياتٍ نفسية تشملُ : الكلامَ , والحركةَ, والعملياتِ العقليةِ والانفعالية الفسيولوجية " [٧] لذا يعد هذا العلم باباً للغوص في فكر الانسان ومعرفة طرائق إنتاجه للكلام , وتسليط الضوء على نوع التفكير الإنساني , والنظام الذي يحدد مسارات تعبيراته المختلفة.وتُركّزُ اللسانيات النفسيةُ على ما يحمِلُهُ الخطابُ من سياقاتٍ نفسيةٍ يمكنُ أنْ تجسّدَ حالةً نفسيةً ما , أو موقفاً إنسانياً عميقاً يُعادُ توظيفهُ بشكلٍ حكائي دقيقٍ , وعميقٍ , مثلُ : الخوفِ, وعدم الشعور بالأمان , والقلقِ , والحلمِ , والحبِ , والفرحِ , والرغبةِ , واليأس ,وغيرِ ذلك من الحالاتِ النفسيةِ التي تشكلُ مداراتٍ فنيةً للأعمالِ الأدبية , ومحركاتٍ نفسيةً لإنتاجها , يشكلُ السياقُ النفسي فيها المحركَ للعملِ الفني وإنتاجِهِ [٨] . ويشكلُ أيضاً مدخلاً حقيقيّاً لقراءة النصِ وتأويلِهِ وإدراكِهِ [٩]ومن سمات اللسانيات الاوربية النزعة الذهنية؛ فان المفاهيم الذهنية سائدة في أدبياتها اللسانية , والاهتمام بالشكل والمعنى على السواء , والكشف عن البنيات الدلالية للسان على صعيد التعبير وصعيد المضمون . [١٠]واذا سألنا كيف يكون اللسان موضوعا للدراسة العلمية ؟ فتكون الإجابة من خلال امكانية الاشتغال باللسان بوصفه موضوعا اختباريا وهو تحديداً اللسان المنطوق أو اللسان المكتوب القابل للادراك والتصور بموضوعية . والادراك بوساطة آثار ملموسة تتركها الأصوات والكلمات والجمل والتراكيب . [١١]واللسانُ هو موضوع اللسانيات . ويتشكل اللسان بوصفه موضوعاً علمياً للسانيات من جوانب أساسية منها جانب التقنين ويشمل القواعد الضمنية العامة المتحكمة في اللسان وبدونها لا يمكن الحديث عن اللسان بالمعنى الدقيق .[١٢]والظواهر اللغوية أو اللسان في مستوياته المختلفة بنية تتألف من عناصر داخلية تندرج في شبكة من العلاقات التقابلية التي تضبط مواقعها وآليات اشتغالها .[١٣]ويمثلُ كلامُ امير المؤمنين عليه السلام منهجاً لغويا متقناً , واسلوباً كلامياً متفرداً , وخطاباً يتسامى في سماء العلمِ و المعرفةِ والقيمِ , ونلمسُ أثره وتأثيره على المتكلمين وأرباب العلم والدراسة والبحث في ميادين علمية مختلفة , وهم يتناولون كلامه جيلاً بعد جيل دراسة وبحثاً وحفظاً واستشهاداً ؛ لأنه يصدر من نفسٍ عظيمة , وشخصية كبيرة , ملكتْ اللغة وسبرت أغوارها وافانينها , ومثلتْ مثالاً يصعب تكراره , وخطاباً يفيض بالمعارف كلما تفيأتَ بظله , وتأملت في جوانبه وقد تحدث العلماء في مكانة الخطاب العلوي ومنزلته الكلامية وأثره في بناء اللغة وديموتها ودقة تعبيراتها , وكتبوا في كلامِ الإمام عليه السلام كلاماً يدل على هذه المنزلة والتأثير. [١٤] فهو خطابٌ نلمس فيه أصالة اللغة العربية, وعبقرية النظام اللغوي فيها , وجمالية أساليبها , وجودة معاتيها .

المبحث الثاني : أثر الخطاب العلوي في التأسيس للسانيات النفسية والإجراء .

مثّل الخطاب العلوي مثالاً بارزاً للغة يحكمها نظام متقن , وقواعد متفردة , ووسيلة كلامية توظف اللغة للتبليغ وللتواصل والتأثير , ولاكتشاف العالَم والانسان والظواهر والأحداث , وقد تضمن هذا الخطاب إشارات لغوية أصبحت اليوم علوماً توسع فيها البحث وأتسعت فيها الدراسات, ومنها الإشارات عن اللسانيات النفسية , وأسست لمنهج كلامي يعتمد اللغة وسيلة للكشف عن المعاني النفسية , والمقاصد الوجدانية, وإن لم يشر العلماء الى هذا المنهج أو الأساس الذي تمثل إشارته بدايات أو مبادئ علمية تناولت مساراً معرفياً يشكل اليوم علماً تناغمه الدراسات وتحيطه بحثاً ودراسة .

وقد وردت هذه الإشارات في خطاب أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في عبارات تشير بوضوح لعلم اللسانيات النفسية , وسوف يتناول البحث بعض هذه الإشارات . وسأذكر عنوانا لكل إشارة من هذه الاشارات اعتمادا على مضمون الشاهد الذي تناوله البحث .

١- **اللسان مرآة الانسان** تحدَّث أمير المؤمنين عليه السلام عن أثر اللسان في التعبير عن الذات الانسانية , وكيف يكون الكلام صدىً للنفس , ومرآة تعكس صفات الانسان وتوجهاته ومشاعره وعواطفه , ومستواه العلمي والمعرفي , وتبين معتقداته وآرائه في ذاته وفي العالم , ومواقفه المختلفه أزاء الظواهر والسلوكيات والحوادث المختلفة , ,وهذا جوهر ما تتبناه اللسانيات النفسية وتضعه في أسسها وتوجهها البحثي, فهي تركّز على الذات البشرية, وتبحث في جوانبها الإدراكية والنفسية المختلفة.وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على هذا المعنى بكلامٍ وواضحٍ وصريحٍ يحمل المعالم الأساس لهذا العلم فقال عليه السلام : " **تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه** " [١٥] إذ نجد في هذا النص ما يشير بوضوح الى أثر الكلام ووظيفته المهمة في التعريف بالانسان وبشخصيته وما يريد أن يكون عليه , بل يشير الى الذات الانسانية التي تكون مجهولة أو غير معروفة ما لم تُنشئ كلاماً وتعبّر , كما يؤكد على أهمية الكلام في رسم شخصية الانسان عند الآخر المتلقي أو المخاطَب وفي هذا النص إشارة الى العلاقة بين اللغة وبين المعنى النفسي , وفيه تأكيد على اللغة الانفعالية التي تكون صدى لنفس المتكلم ولمقاصده ولمشاعره وجاء النص مستهِلّاً بمقطعي كلامٍ : (تكلموا –تعرفوا) إذ ربط بين التعرف على الانسان بالكلام , على شكل تعبير شرطي , يبيّن أنَّ الانسان يُعرف بالكلام , ومتى ما تكلم

عُرِف , فيكون التعرف عليه غير مكتمل ما لم يتكلم سواء أكان الكلام منطوقاً أم مكتوباً , وفي النص دعوة للتعبير والحديث في مقام تبيان المقاصد وإثبات الحجة , وإتمام التعامل.وبيّن النص ما اهتم به اللسانيون النفسيون من دراسة العلاقة بين الكلامِ وبين النفس وقد أجهد اللغويون انفسهم لتوضيح هذه العلاقة قديماً وحديثاً , علما أن امير المؤمنين عليه السلام ذكرها باسلوبٍ واضحٍ صريح في هذه النص فقوله: (تكلّموا) طلبٌ وتوجيه فيه إشارة إلى أهمية الكلام وأثره في تحليل الشخصية , وقوله (تعرفوا) تأكيد على هذا الربط النفسي والإدراكي بين الكلام وبين المتكلم للتعرف على ذاته وتفكيره ومشاعره , فالنص أشار الى وجود نظام لغوي يترجم طبيعة المراد , ونوع المضمون.أما القسم الثاني فقوله عليه السلام : (**فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه)** يشير بهذا الكلام إلى مصطلح اللسان واستعماله الفردي في اللغة وإن لكل شخص لسان يعبر عن ذاته ومشاعره وأفكاره ومعتقداته وغيرها , بل حتى في استعمال لفظ المرء إشارة للانسان يشير الى المعنى النفسي فإن المرء يفيد أنه أدب النفس و لهذا يقال المروءة أدب مخصوص [١٦] وقوله: (مخبوء تحت لسانه) كناية عن وظيفة اللسان في الكشف عن صاحبه والتعريف به, بل وتدل على وجود نفس بشرية مخفية غير ظاهرة , مجهولة غير مكتشفة , إلا اذا تكلم صاحبها عندئذ ستظهر وتتجلي للآخر ، وفي هذا النص أشارة واضحة الى العلاقة بين الانسان وبين لسانه , و قد امتاز الإنسان عن سائر الحيوانات بالعقل و الادراك، و أعطاه اللّه لساناً ناطقا و قوّة للتكلّم و البيان ليكون ترجمانا لهذه الجوهر القدسي و مظهراً له، فالمرء بجوهره الانساني هو الناطقة القدسيّة و يظهر حاله من كلامه. " [١٧] لذا جاء هذا النص واضحاً في تبيان العلاقة بين الكلام وبين صاحبه , فلا يمكن الفصل والاستقلالية بينهما فالكلام سلوك لغوي متجذر في أعماق النفس .

٢- **الكشف عن المعنى النفسي المضمر** ؟إن التعامل مع كلامٍ يحمل معاني مضمرة غير صريحة يحتاج الى وسائل تعين المتلقي, وترفده بوسائل للكشف عن هذه المعاني والمقاصد, ومن هذه الوسائل الكلام والقدرة على تحليله ومعرفته , فالكلامُ حاجة للتعبير , وسر كامن يمكن أن يظهر ما خُفي وما بطن عندما يتكلم الانسان , وهذه الوسيلة الكشفية تخص بني البشر جميعهم , وما من أحدٍ يستثنى من هذه الوسيلة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة : " **مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ, وَ صَفَحَاتِ وَجْهِهِ** " [١٨]وهذا تعبير صريح , وإشارة واضحة , كشفت عن الوسيلة التي يعتمدها الباحث اللساني النفسي في الكشف عن الشخصية , وفي هذا النص إشارة واضحة الى الوسيلة التي يمكن أن تظهر فيها شخصية الانسان , وقد ذكر الخطابُ طريقين أو مسارين للكشف وللتحليل في الشخصية الانسانية بقوله: (**فَلَتَاتِ لِسَانِهِ, وَ صَفَحَاتِ وَجْهِهِ)** , فإنها تظهر في الكلامِ وعند النطقِ أكثر مما تظهر في لغة الجسد , وحركات الجسم الإرادية وغير الإرادية , بدليل تقديم اللسان على لغة الجسد في النص استعمل النص تعبير(فَلَتَاتِ لِسَانِهِ) " و الْفَلْتَة الأمر الذي يقع من غير إحكام، يقال: كان ذلك الأمر فلتة أي مفاجأة." [١٩] و" الفاء و اللام و التاء كلمةٌ صحيحة تدلُّ على تخلُّصٍ فى سرعة. ويقال: أفْلَتَ يُفْلِتُ و كان ذلك الأمر فَلْتَةً، إذا لم يكُنْ عن تدبُّر و لا رأيٍ و لا تردُّد . " [٢٠] وهذا الاستعمال يؤكد على أهمية اللسان في إظهار المعاني والمقاصد المضمرة التي يريد منشئ الكلام سواءٌ أراد أن تظهر في خطابه أم لم يُرد .

وفي تعبير الفلتات إشارة ضمنية الى التدبر في الكلام قبل التلفظ به , لأن عدم التدبر قد يظهر ما أراد المتكلم اخفاءه عن المتلقي , وفيه إشارة الى ظواهر لسانية نفسية متعددة ومنها ظاهرة التناطق التي تشير الى مرحلة انتاج الكلام وبنائه صوتياً ولفظياً وتركيبياً ؛ فإنَّ عبقريةَ انتاجِ الكلامِ تكمنُ في تَداخُلِ القطعِ الصواتيةِ , وهو ما يسمى بظاهرةِ التناطقِ في اللسانيات النفسية ؛ إذ تُتِمُ أعضاءُ النطِقِ انتاجَ (١٠-١٥) قطعةً صَوتيةً في الثانيةِ , ولا تنتجُ أعضاءُ النطق كل وحدةٍ صوتيةٍ على حدةٍ , ولو لم يكن الكلامُ متناطقاً لكانَ بطيئاً بالنسبةِ للسامعِ (٢١) . و أنَّ الأصواتَ التي يُنتِجُها المتكلمونَ ليستْ وحداتٍ منعزلةٍ بل جزءٌ من إشارةٍ كلاميةٍ متواصلةٍ (٢٢) وهذا يعني أن مرحلة انتاج الكلام مهمة ؛ لأنها تحدد مقاصده التي يريد ايصالها , بل تدل على معانٍ دفينة مستقرة في الذهن قد تتعالق مع الألفاظ , وتتناثر في طيات الكلام , وتتشبث في أغصان المفردات, عندما يكون صاحب الكلام غير واعٍ لما يقول , وغير منتبهٍ بما يتكلم , وغير متدبر لتلك المعاني التي يفترض أن يضبط وجودها في ذهنه وفي كلامه .

وإن النص أشار الى أهمية ذلك , وأكد على ضرورة الاستعمال اللغوي الصحيح , فإن شخصية الانسان ومشاعره ومعتقداته قد تكون مضمرة مخبوءة يتكفل اللسان بإظهر جزء كبير منهاوالإنسان إنّما يضمر في نفسه أمرا مهمّا عنده بسبب عداوة أو بغض أو محبّة إلى غير ذلك مع المعاني النفسية ، ولأن الوجود اللساني عبارة عن الوجود النفسانيّ و مظهرا له لم يتمكّن المرء أن يحفظ ما أضمره بالكلّيّة ؛ لأنّ مراعاة ذلك الحفظ إنّما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة، و العقل قد يشتغل بالتصرّف في مهمّ آخر فيغفل عن ضبط ما أضمره فينفلت الخيال به من سرّ العقل فيبعثه في فلتات القول عن غير تروّ، و كذلك لمّا كان التصوّرات و الامور النفسانيّة مبادئ للآثار الظاهرة كصفرة الوجل و حمرة الخجل لم ينفكّ بعض الامور المضمرة عن ظهور ما يعرف به من الآثار في صفحات الوجه و العين. و شاهد ذلك التجربة.[٢٣]صفحات وجهه و تَصَفَّحْتُهُم: نظرت في خلالهم هل أرى فلانا، أو ما حالهم (٢٤) و صفيحة الوجه: بَشَرَةُ جِلْدِه [٢٥]لذا فـ " القلب محفظة للحقائق و مخزن للأسرار، و لكلّ شيء ثقل بحسبه يبحث عنه العلم الطبيعى، و من مهمّات هذا العلم العميق الدقيق تشخيص الأوزان الخاصّة [٢٦] بكلّ جسم أو غاز، و ينظمّون لها فهارس مفصّلة تبين

دستورا لكلّ منها و للأسرار وإنَّ الحقائق ثقل يقع عبئها على القلوب، و كلّما كان السرّ أستر كان على القلب أثقل، فيضيق و يضغط حتّى يختلّ روحيّة الانسان و يعرض له الاختلال و من أهمّ مسائل علم النّفس الحديث معالجة المبتلى به، و أحد طرقه المفيدة جلب اطمئنان المبتلى بحيث يطمئنّ أن يحدث بكلّ ما أضمر في قلبه من سرّه، و إذا ضاق القلب بالسرّ يترشّح من اللّسان و إن كرهه الانسان، و هو الّذي عبّر عنه بالفلتة، كما أنه يظهر على صفحة الوجه الوجدان الباطني الّذي هو أثر الأسرار الكامنة في القلب. [٢٧]وإن هذا النص أشار الى أهمية اللغة أو اللسان في معرفة الحقائق والمقاصد , والتعرف على الشخصيات والمشاعر , وأشار الى مرحلة انتاج الكلام وأهميتها , وإن المعاني رفيقة الألفاظ ؟ تترابط معها ترابطاً كبيراً , فقد تكون المعاني مستقرة في الذهن ولا تتشكل في كلام , وقد يكون عدم الروية والاستعجال والفجأة والدهشة وغيرها من عناصر فقدان التحكم سبباً لإظهارها في الكلام .

٣-التدبر اللساني في نهج البلاغةلقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام الى مفهوم تناوله علماء اللغة والأدب وأرباب اللسان على اختلاف لغاتهم وهو اتقان اللغة وضبط التعبير, والتدبر في الكلامِ وتصوره في الذهن ؛ فإن الإبداع يكمن جزء منه في هذه المسألة, وإن الاختلاف في الصور والمعاني والمقاصد يعتمد على هذا الأثر , وقدوإن اللسانيات النفسية مجال معني بالمقام الاول بكيفية تمثيل اللغة ومعالجتها في الدماغ , بمعنى تركز الدراسة اللسانية النفسية على اللغة بوصفها نظام يحكمه الدماغ . [٢٨] وفي هذا النص تبيان لأهمية اللسان في هذه المسألة , بل ذكر صريح الى مصطلح اللسان المعاصر وبعض قواعده في وصف صريح لحالات اللسان وصفاته وظواهره ومساراته . يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة ذاكراً اللسان : " **وَ اجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدا, وَ لْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ, فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ, وَ اللَّهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ, وَ إِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ, وَ إِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ, لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ, فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ وَ إِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ , وَ إِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ , لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَ مَاذَا عَلَيْهِ** " [٢٩]في هذا النص نجد وصفاً دقيقاً لاستعمال اللسان , وبياناً للعلاقة بين اللغة وبين النفس , وتركيزاً على أثر التدبر والتفكر لانتاج الكلام , وإن اللسان صفة لمتحدثه , ومترجما لشخصه وشخصيته , ولكل نفس لسان , ولكل لسانٍ وظيفة , وفيه إشارة الى المعنى الفردي في استعمال اللغة , وقد تكرر ذكر لفظ اللسان في النص سبع مراتٍ في كل مرة كان لذكره قصد ومضامين وابتدأ بقوله عليه السلام : (وَ اجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدا) فهو نهي عن النفاق في القول و استعمال الوجهين في الكلام (٣٠) ولعلها دعوة الى عدم التصريح عن المعاني في بعض المقامات بسبب ظرفٍ أو حادثة أو مصلحة . لذلك دعا عليه السلام الى التأني والتدبر وعدم العجلة في الكلام بقوله : (وَ لْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ) والسبب يظهر بقوله : (فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ) قد يورده الهلكة والمصائب والعصيان , بل ويكون من صفات المتقين بقوله : (و وَ اللَّهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ) ثم يقول بتعدد الألسنة التي تعبر عن صفة التدبر والتعقل والرويةفللمؤمن لسان وللمنافق لسان(وَ إِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ, وَ إِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ) , وهو بيان في وصف موقع اللسان ، و تلخيص هذا البيان أنّ الوراء في الموضعين كناية عن التبعيّة, لأنّ لسان المؤمن تابع لقلبه فلا ينطق إلّا بعد تقديم الفكر فيما ينبغي أن يقوله، و قلب المنافق و ذكره متأخّر عن نطقه؛ فكان لفظ الوراء استعارة من المعنى المحسوس للمعقول . [٣١] وإن للسان جانب اجتماعي كما يذكر اللسانيون يتضمن المواضعات الأجتماعية والثقافية التي تحدد طرائق استعمال اللسان وأوجهه المتعددة في إطار علاقات ثنائية واجتماعية متنوعة . [٣٢]ويأتي الشاهد الذي يعزز فكرة انتاج الكلام وتعقله قبل النطق به , وهذا باب محوري في اشتغالات اللسانيات النفسية , واجرائها البحثي , بقول الامام عليه السلام : (لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ, فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ وَ إِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ , وَ إِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ , لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَ مَاذَا عَلَيْهِ) وفيه إشارة الى مكانة التدبر في الكلام والتروي في الخطاب , وعدم إلقاء الكلام جزافاً من غير تعقل , فلا عبثية في انتقاء المفردات , ولا مسامحة في تخير الكلمات , فاللغة نظام , والكلام ترجمانه إن الحال تختلف باختلاف الأشخاص، فبين لسان المؤمن العاقل و قلبه علاقة قوية جدا، و هي من نوع العلية و السببية، و ذلك أن المؤمن العاقل يزن كلامه، و يفكر طويلا قبل أن ينطق به: هل هو له أو عليه، خوفا من سوء العاقبة. و بعد التثبت من صدقة و مرضاة دينه و وجدانه يلقيه على السامعين، و بهذا يكون لسانه تابعا و نابعا من قلبه و عقله و دينه. أما المنافق فلا يشعر بالمسؤولية، و لا يخشى دائرة السوء، و لذا يلقي الكلام جزافا من غير تفكير و روية في أنه له أو عليه، حتى إذا ذاق و بال كلامه أفاق من كبوته، و شعر بالمسؤولية.. و لكن بعد فوات الأوان، و معنى هذا أن كلامه سابق لشعوره و تفكيره. [٣٣] وينبغي أن يكون الشعور والتفكير سابق للكلام متحكم فيه , واللسانيات النفسية تدرس هذا التعالق بين الشعور وبين الكلامِ , وتحلل الخطاب أوالنص تحليلا تعتمد اللغة طريقا للوصول الى تفكير الانسان ومشاعره ومعتقداته وغيرهاثمّ نبّه على ما ينبغي عند إرادة القول من التثبّت و التأمّل ما يراد النطق به و على ما لا ينبغي من القول بغير مراجعة الفكر، و قرن الأوّل بالإيمان ترغيبا فيه، و الثاني بالنفاق تنفيرا عنه. [٣٤] وقد سنَّ الإمام عليه السلام قاعدة عقلائية تعارف الناس عليها و هي أن خطأ اللسان يصعب تداركه و الاعتذار منه، فمن هفا في منطقه أمام

جمع من الناس حفظوا عليه خطأه و ذكروه به متى نسي، [٣٥]من خلال ما تقدم نجد في الخطاب العلوي أشارات متعددة لعلم اللسانيات النفسية , ذكرت صراحة وضمناً ووقفت على مسألة انتاج الكلام , وتحليل الخطاب , والتعرف على شخصية المتكلم ودوافعه ومشاعره ومقاصده وما يضمر من خلال التعبير .

النتائج :

– لقد أسس الخطاب العلوي لعلم اللسانيات النفسية, وإن كلامَ أمير المؤمنين عليه السلام ذكر جوهر هذا العلم ومضمونه اهميته .

– هناك شواهد كلامية متعددة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام تناولت هذا المفهوم وأسست له في عبارات صريحة , وخطابٍ مباشر وغير مباشر .

–لقد تضمن الخطاب العلوي في جانبه العملي أو الإجرائي جوانب مختلفة من علم اللسانيات , وآليات العلم واسسه وأجراءاته .

التوصيات :

- اعتماد كتاب نهج البلاغة كمادة علمية تدرس فيها الظواهر اللغوية لطلبة الدرسات العليا في تخصص اللغة في الجامعات العراقية .
- الاهتمام بعلم اللسانيات النفسية؛ لأنه مقدمة معرفية مهمة تعين المتخصصين في تحليل الخطاب وفي تحليل الشخصية , وتكون مقدمة للكشف عن أسرار الكلام , ومضامين الخطاب .

هوامش البحث

١

[٢](٢) اللسانيات وأسسها المعرفية , عبد السلام المسدي : ١٨, , المكتبة الفلسفية , الدار التونسية للنشر أوت ١٩٨٦, نهج باب الخضراء تونس , المؤسسة الوطنية للكتاب

[٣] اللسانيات وأسسها المعرفية , عبد السلام المسدي : ١٨

[٤٤] ظ: معجم اللسانيات ٣٠٠–٣٠١ , نقلا عن مبادئ اللسانيات أحمد قدور ١٣

(٥)مبادئ في اللسانيات , خولة الابراهيمي : ٢٦ , دار القصبة للنشر الجزائر , ٢٠٠٠–٢٠٠٦

(٦) ظ: الدلالة النفسية في نهج البلاغة . صادق علي الزبيدي : ٢٦

(٧) التعبير القرآني والدلالة النفسية , عبد الله محمد الجيوسي : ٤٢

(٨) ظ: المعنى خارج النص , فاطمة الشيدي : ١٩٦

(٩)ظ: : المعنى خارج النص , فاطمة الشيدي : ١٩٦.

(١٠)ظ: اللسانيات البنوية ,مصطفى غلفان : ٧١

(١١)ظ: اللسانيات البنوية ,مصطفى غلفان : ٧٩

(١٢)اللسانيات البنوية مصطفى غلفان : ٧٠

(١٣)اللسانيات البنيوية مصطفى غلفان : ٣٩

(١٤) ظ: في رحاب نهج البلاغة , مرتضى مطهري : ١٨

(١٥) شرحنهجالبلاغة(ابنأبيالحديد)، ج ١٩ ، صفحة ٣٤٠

(١٦)الفروق في اللغة / ٢٧١ / (الفرق) بين الرجل و المرء ..... ص : ٢٧١

(١٧) ظ: منهاجالبراعة فيشرحنهجالبلاغة(الخوئي)، ٢١ / ٢٢٨ –٢٢٩

(١٨)شرحنهجالبلاغة(ابنأبيالحديد)، ج ١٨ ، صفحة ١٣٧

(١٩)كتاب العين: ٨ /١٢٢

(٢٠)معجم مقاييس اللغة : ٤ / ٤٤٨

(٢١) ظ: اسس اللسانيات النفسية , ايفام فيرناندیز وهيلين سميث: ٢٣٥

(٢٢)ظ: اسس اللسانيات النفسية , ايفام فيرناندیز وهيلين سميث: ٢٣٦

(٢٣)شرحنهج البلاغة(ابن ميثم)، ٥ / ٢٥١

(٢٤)كتاب العين : ٣ / ١٢٢

(٢٥)الصحاح : ١ / ٣٨٣

(٢٦)منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة(الخوئي)، ٢١ / ٤٢

(٢٧)ظ: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة(الخوئي)، ج ٢١ ، صفحة ٤٣

(٢٨) ظ: اسس اللسانيات النفسية , ايفام فيرناندز وهيلين كيرنز : ١١٣

(٢٩)شرحنهج البلاغة(ابن أبي الحديد)، ج ١٠ ، صفحة ٢٨

(٣٠)شرحنهج البلاغة(ابن أبي الحديد)، ج ١٠ ، صفحة ٢٨

(٣١)شرحنهج البلاغة(ابن ميثم)، ج ٣ ، صفحة ٣٥٩

(٣٢)اللسانيات البنوية مصطفى غلفان : ٧٠

(٣٣)ظ: في ظلال نهج البلاغة، ج ٢ ، صفحة ٥٣٥

(٣٤)شرحنهج البلاغة(ابن ميثم)، ج ٣ ، صفحة ٣٥٩

(٣٥)ظ: شرحنهج البلاغة(السيد عباس الموسوي)، ج ٤ ، صفحة ٣٥١

المصادر والمراجع:

١. أسس اللسانيات النفسية ,ايفام فيرناندیز , هيلين سميث كيرنز , ترجمة عقيل الشمري ,جداول للنشر والترجمة, بيروت لبنان , ط١, حزيران يونيو ٢٠١٨م .

٢. التعبير القراني والدلالة النفسية , عبد الله محمد الجيوسي , دار الغوثاني للدراسات القرآنية ,دمشق , ط١, ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦م .

٣. الدلالة النفسية في نهج البلاغة , صادق علي الزبيدي, دار روافد , بيروت لبنان , ط١, ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م

٤. شرح نهج البلاغة , عباس علي الموسوي , دار الرسول الاكرم -دار المحجة البيضاء , بيروت , ط١ , ١٤١٨هـ .

٥. شرح نهج البلاغة , عز الدين ابو حامد ابن ابي الحديد , تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم العامة , قم, ط١ , ١٣٧٨ .

٦. شرح نهج البلاغة , كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني , عني عدة من الافاضل , الناشر دفتر نشر الكتاب , ط٢, ١٤٠٤هـ .

٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية , إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين . بيروت , ط١, ١٣٧٦ هـ .

٨.

٩. في ظلال نهج البلاغة , محمد جواد مغنية , تحقيق سامي الغريري دار الكتاب الاسلامي , ط١ , ٢٠٠٥ .

١٠. العين , عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي , دار الهجرة للنشر , قم , ط ٢ , ١٤٠٩ هـ

١١. الفروق في اللغة , حسن بن عبد الله ابو هلال العسكري , دار الآفاق الجديدة , بيروت-لبنان , ط١ , ١٤٠٠ هـ

١٢. في رحاب نهج البلاغة , -٢٠١١م اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات ,مصطفى غلفان , دار الكتاب الجديد, ط١, حزيران ٢٠١٣م

١٣. اللسانيات وأسسها المعرفية , عبد السلام المسدي : ,١٨ , المكتبة الفلسفية , الدار التونسية للنشر أوت ١٩٨٦,

١٤. مبادئ في اللسانيات , خولة الابراهيمي , دار القصبة للنشر الجزائر , ٢٠٠٠-٢٠٠٦

١٥. معجم مقاييس اللغة , أحمد بن فارس , مكتب الإعلام الإسلامي - قم , ط١ , ١٤٠٤ هـ.

١٦. ظ: معجم اللسانيات ٣٠٠-٣٠١ , نقلا عن مبادئ اللسانيات أحمد قدور ١٣: دار الفكر دمشق, ط٣ ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

١٧. المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب , فاطمة الشيدي , دار نينوى للطباعة والنشر -دمشق , ٢٠١١م .

١٨. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة , الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي , المكتبة الاسلامية , طهران , ط٤, ١٤٠٠هـ